العلوم

٣ ـ بحث فى أصل الانسان

بقلم نعيم على راغب

دبلوم عال فى الجغرافية

مهارة الانسان الأول :

لم يكن الأنسان الأول إنسان عقله وتركيبه فقط ، بل كان إنساناً تميزه حقائق أخرى كثيرة عرفناها عنه . وإن الأدوات الحجرية التى وجدت عن ذلك الوقت الغابر لا تدل على مدى تفكيره فحسب ، بل تدل على ميل للفن والمهارة فى الصناعة.. وقد وجد السر داوسون Mr. Dawson قطعة مستطيلة من العظام المتحجرة شكلتها يد الانسان القديم لتقوم له بوظيفة صنعها من أجلها ، وتشبه فى شكلها شكل مضرب اللعبة المعروفة « بالكريكيت » وحالة التحجر ودوجته تماثل تماماً ما وجد فى أقدم عصور إنسان البلتداون . وعند فحص هذه القطعة العظمية اكتشف أنها قد اقتطعت من عظمة فخذ نوع من أنواع الفيلة الضخمة البائدة التى تشبه الماموث كانت تعيش فى انجلترا فى أوائل عصر البليستوسين (شكل ٥) ؛ فانسان البلتداون كان ذكياً ماهراً الى حد ما ، أو لدرجة أوصلته الى أن يشكل من عظام فخذ هذه الفيلة أسلحة مشوهة الشكل ، ومن العدل حينئذ أن نضيف الى ذكائه ومهارته شجاعته وقدرته فى الصيد والقنص .

سبق أن بينت أن إنسان الكهوف Cave Man كان أسير التقاليد والأزياء . وكيف كان نوعٌ وشكل واحد من أنواع الأدوات أو الأسلحة أوغيرها يعم استعماله القارة كلها ، وكيف أن بقاء الزى الواحد كان لمدة أطول بكثير مما هو عليه الآن .

وإذا نحن بعدنا إلى عصر الأودية فاننا نجد براهين أخرى على ما ذكرنا . حقيقة لا يمكننا معرفة وقت بدء استعمال هذه الآلات والأدوات الحجرية سواء فى عصر الإشيلية والشيلية

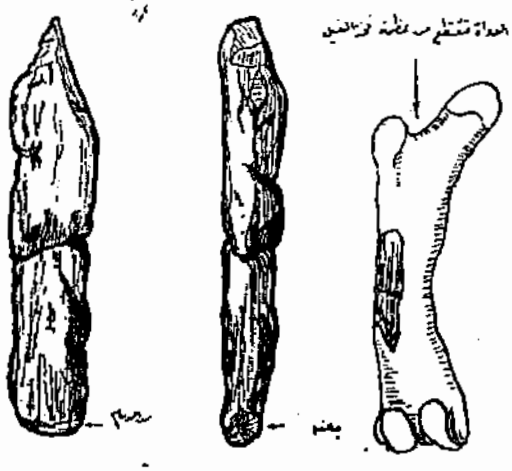

شكل (٥) وجدت أدوات من العظم طول الواحدة ١٦ بوصة قطعها بلا شك انسان البلتداون واستخدمها كسلاح يدافع به عن نفسه أو يستعملها فى صيد ما يقابله من وحش
(نقلا عن رسم سير سميث وودوارد)

أو البريشيلية ، إلا أنه يمكننا مع ذلك أن نقول واثقين كل الثقة أن المرأة كانت تحمل نفس الشعور والحواس النفسية التى تدفع أى امرأة فى أى عصر من العصور الى طريق العبودية للأزياء . وفى الوقت الحاضر بما فيه من وسائل مواصلات حديثة ، يكفى الزى الواحد أسابيع قلائل كى ينتشر ويعم استعماله العالم أجمع ، ولو أنه سريع الذهاب قليل البقاء أو الثبات ، وهذا الأمر هو ميزة العصر الحالى ، عصر السرعة والتقلب فى كل شىء . بعكس القديم الذى نحن بصدده ، والذى ذكرنا فى فقرتنا السابقة أن انتشار الزى الواحد كان يلزمه وقت طويل ، ولكنه عند ماينتشر يستمر عشرات آلاف السنين دون أن يتغير .

قد استطعنا من الآثار والمخلفات التى وجدناها فى المقابر والكهوف وسواها أن نتتبع تاريخ حياة الانسان من نحو مائتى الف سنة ، وبذلك وصلنا الى عصر من العصور سماه علماء الجيولوجيا عصر البليستوسين Pleistocene . ولدينا من البراهين

القوية ما يثبت أن الانسان فى هذا العصر قد وُجد كامل التكوين جسما وعقلا ، ولذلك نجد أنفسنا مضطرين لأن نرجع الى ما قبل هذا العصر ، الى عصر أطلق عليه اسم عصر البليوسين Pleiocene وبذا نجد أن مخلفات العصر السابق ليست ذات أهمية لنا ، ونجد ضروريا أن نبحث عن آثار أقدم . وقد وجد أن الانهار الشمالية ومنها التيمس والرين والألب وغيرها تحفظ فى قاعها وبين طبقات شواطئها من مخلفات العصر الذى نحن بصدده ما يجعلها تفوق فى الأهمية أى متحف جيولوجى أو طبيعى .

كانت مصبات الأنهار الشمالية تصل الى أقاصى القارة الأوربية وتصب فى بحر الشمال . وكانت انجلترا تتصل بباقى أوزوبا عن طريق سهل فسيح جداً ممتد بينها وبين القارة . الا أن هذا السهل قد ذهب ضحية عوامل الانخفاض فى القشرة الأرضية فغمرته المياه ولم يبق منه إلا شريط مستطيل رفيع يمتد فى شرق انجليا . وإنك لترانا ما زلنا فى بحثنا عن إنسان البليوسين نعتمد على مخلفات الأنهار وما تحفظه المجارى المائية بين طبقات قاعها أو كهوف سواحلها . وحقيق بى أن أذكر هنا عبارة Sir Arthur Keith حين قال :

" All rivers write history; the geologist deciphers their hieroglyphs for us. "

وهذا معناه أن الأنهار تحفظ لنا بين ثناياها التاريخ الصحيح لقديم الزمان ، وعلى العالم الجيولوجى أن يقرأ لنا هذا التاريخ ويفسر ما التبس منه وما غمض .

قلنا إن شرق انجليا يكون جزءاً من سهل بحر الشمال البليوسينى ، فاذا كان هناك إنسان قد عاش فى أوربا وسكنها فى ذلك العصر فلا بد أن نجد آثاراً أو مخلفات تدل على سابق وجوده . وقد حدث أن السنر ريد موير Mr. J. Reid Moir بدأ يبحث فى طبقات البليوسين فى شرق انجليا فلاحظ أنه على أعماق مخصوصة وجد قطعاً صخرية صماء دلّته دلالة لا تقض فيها على أنها من عمل الانسان . وبعد سنوات عديدة أمكنه أن يكوّن مجموعة من هذه الصخور تختلف اختلافاً بيّناً فى الشكل والنوع عما وُجد من مخلفات عصرى الريشيليان والشيليان . ثم وجه بحثه وراء إنسان البليوسين فبحث فى شواطىء سفولك ونورفولك ، حيث تكشف الأمواج المتلاطمة عن طبقات الربوات العالية البليوسينية . وقد ساعده الحظ فى العثور على صخور نارية دلت على عمل الانسان (شكل ٦) وقدرته على التشكيل والابتكار . لكنه لم يعثر ولم يعثر غيره على هيكل متحجر من هياكل ذلك الانسان الذى صنعها وشكلها فى تلك الأزمنة السحيقة المتناهية القدم وهى عصر البليوسين

وقبل أن نتقدم بعيداً عن ذلك نقف لحظة هنا لنقدر عمراً لهذا العصر . قال العلماء إن سمك طبقات البليوستوسين يبلغ ٤٠٠٠ قدم ، وأن سمك طبقات البليوسين ٥٠٠٠ قدم . فاذا علمنا أنه يلزم لتراكم طبقات البليوستوسين (٤٠٠٠ قدم) ٢٠٠ ألف سنة فانه من الممكن أن نقول إن طبقات البليوسين (٥٠٠٠ قدم) تحتاج الى ٢٥٠ ألف سنة أى ربع مليون سنة . وهذا ما يمكن أن نقدره عمراً لعصر البليوسين . وقد كانت أقدم جهة وجد فيها

أهم كتاب فى اللغة العربية

القاموس المحيط

لمجد الدين الفيروزابادى

لا يستغنى عنه عالم ولا متعلم ، يعين على حل المشكلات وفهم المعضلات

فى أربعة أجزاء ضخام . طبع جميل ، على ورق صقيل ؛ ويطلب من المطبعة المصرية تليفون ٥١٧٠٤ وثمنه خمسون قرشاً صاغاً خالص أجرة البريد . بادر بطلبك الآن قبل ارتفاع السعر أو نفاد النسخ ، ويوجد منه ورق عادى بخمسة وثلاثين قرشاً

ريد موير مخلفاته الصخرية تقع فى حمى السافة ، فاذا اعترفنا بذلك وجب أن نعترف أنه من مدة تبلغ نحو ١٫٣٠٠ ألف سنة كان يسكن العالم عنصر بشرى كان له من الذكاء والمقدرة ما كشف له عن طريق عمل واستخدام الآلات والأسلحة .

شكل (٦) نماذج من أدوات مصنوعة من الصخر النارى من عصر Eoliths تدل على تفكير ومهارة قام بهما الانسان الأول
(نقلا عن رسم ستر ريد مور)

ولم تكن صخور ريد موير التى وجدها فى شرق انجليا أقدم آثار لعصر البليوسين ، لأن هناك جهة تعرف باسم N. Drowns of Kent لوحظ أن بها مناطق لا تجرى فيها عجار مائية فى العصر الحالى وإنما تدل الدلائل على أنه كانت توجد بها أنهار سريعة الجريان . وذلك من البقايا الرسوبية التى وجدت . فى هذه الجهة بدأ بنيامين هاريسون بحثه فى عام ١٨٦٤ فوجد أدوات صخرية تحتها يد الانسان ، وقد سميت هذه الصخور باسم Eoliths ، ويعترف ريد موير أن هذه الصخور أقدم مما وجده فى شرق انجليا . وقد وجد مدير دار الآثار الملكية البلجيكية فى Belgium Rutôt أمثلة أخرى كثيرة لمحاولة الانسان الأول تشكيل الصخور واستعمالها أدوات وأسلحة .

ولم يقتصر البحث على مخلفات الطبقات الجيولوجية لمناطق بحر الشمال البليوسينية ، بل تعداها إلى كل أنحاء العالم . ففى هبترلاند وفى السهول الشمالية لأواسط آسيا دار البحث والتنقيب عن إنسان البليوسين .

ولعل الدكتور هنرى فيرفيلن أوزبورن Dr. H. F. Osborn كان يتوقع العثور فى آسيا على الحلقة المفقودة لسلسلة تطور الانسان فى مخلفات عصر البليوسين .

وبرغم الأبحاث التوالية والجهود الجبارة التى قام بها العلماء فى مختلف جهات العالم ، لم يعثر إلا على بقايا فرد واحد من العنصر الذى عاش فى عصر البليوسين ، وجد فى منطقة ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٥٠ قدماً وتقع على الساحل الشرق لنهر بنجوان Bengawan فى أواسط جاوة ، وقد عثر عليه شاب هولندى طبيب ذهب الى جاوة سنة ١٨٩١ واتفاقاً من عثوره على ما يدله على خطوات التطور الانسانى فى هذه الجهة .

وكانت شواطئ نهر البنجوان غنية بالهيا كل المتحجرة لحيوانات بائدة ، ولذلك استرعت هذه الجهة نظر الطبيب الشاب فوجه بحثه اليها .

الحلقة المفقودة

وبعد بحث وحفر طويلين وجد هيكلاً لمخلوق غريب أطلق عليه اسم Pithecan thropus أى الانسان القرد ، إذ أنه قد ظن أنه وجد بقايا من يتكلم عنه الناس أجمع ولم يروه ، ألا وهو الحلقة المفقودة بين القرد والانسان .

وقد ظهر أن هذه الطبقة الأرضية التى وجدت بها بقايا هذا العنصر أو المخلوق لم تتكون إلا فى أواخر عصر البليوسين ، ولذلك يمكننا أن نقول إنه اذا كان هذا الانسان القرد عاش هو وإخوته وأعمامه وأخواله وكل أفراد عائلته فى جزيرة جاوة فى العصر الذى تم فيه تكوين طبقات شرق انجليا ، فانه يمكننا أن نقدر لعصره عمراً يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ ألف سنة .

بعد أن قدرنا هذا العمر لهذا المخلوق العجيب يجب علينا أن نبحث لنعرف نوع هذا المخلوق وأصله . فما الذى وجدناه منه ؟

كل ما عندنا من آثار : غطاء الجمجمة ، عظمة فخذ ، ثلاث أسنان منها ضرس من أضراس العقل .

فلندرس هذه كلها ، ولئن ما يمكن أن تكشف لنا عنه .

(يتبع) نعيم على راغب

آلام فرتر
للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى
ترجمها الاستاذ احمد حسن الزيات
ثمنها ١٥ قرشاً